ابو يزيد البسطامى

١٨٨ — ٢٦١ هـ

للاستاذ طه عبد الباقى سرور

أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ، كان جده مجوسيا فاسلم وحسن اسلامه ، ولابى يزيد ثلاثة اخوة وكلهم كما يقول السلمى : كانوا زهادا عبادا ارباب احوال : (١)

ويصفه السهلجى بقوله : « ليله قائم ، ونهاره صائم ، وقلبه هائم ، ولا تأخذه فى الله لومه لائم ، علم مالم يعلمه الاكياس ، ومنهم ما لايفهمه اجناس الناس ، اصبح مقضى الحاجه ، مرضى المحجة ، قوى الحجه (٢)

ويقول ابو عبد الله الداستانى : « سمعت مشايخنا يقولون : خدم أبو يزيد ثلاثمائةوثلاثة عشر استاذا آخرهم جعفر الصادق ، وكان جعفر يقول له أرى فيك أثر جدى ، وطلب منه أن يدعو الخلق الى الله (٣)

ويقول عنه الخواص : هو سلطان العارفين : ويسميه محيى الدين بن عربى أبا يزيد الاكبر ، ويقول : إنه كان القطب الغوث فى زمنه (٤)

---

(١) طبقات الصوفية . ص ٦٧

(٢) النور من كلمات أبى طيفور للسهلجى شطحات الصوفيه ص ٤٦

(٣) شطحات الصوفية : ص ٤٧

(٤) الكواكب الدريه ج ١ ص ٢٤٤

ويقول عنه ـ نيكلسون ـ « . . أحد الافراد الذين جمعوا الى خصوبة الخيال عمق التفكير (١)

ويقول المناوى : « إن أهل بسطام نفوه من بلادهم سبع مرات عندما تكلم عليهم بالحقائق التى لم يطيقوها ، وفى كل مرة يختل أمرهم ، وينزل بهم البلاء ، فيلتجئون اليه ، ملتمسين منه العودة اليهم (٢)

ولم تحدثنا كتب الطبقات عن ثقافته ، وليس فى تاريخه ما يرشد الى تحصيله العلم .

والظاهرة التى تصورها لنا حياته ، هى ظاهرة الصوفى ، الذى تنقيه وتصفيه الرياضات والمجاهدات ، حتى اذا تم صقله ، تفتحت عين قلبه ، فأصبح صوفيا غير مشوب ذوقه بثقافة دنيوية ، انها معرفة ذوقية خالصه من فيض الله وعلمه وهى عند الصوفية أرقى واسمى صور المعرفة .

سأله أحد الفقهاء : علمك هذا أخذته عن من ؟ ومن من ؟ ومن أين ؟:

فقال أبو يزيد : علمى من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم :

ويقول أبو يزيد : « ليس العالم من يحفظ من كتاب فاذا نسى ماحفظ صار جاهلا بل من يأخذ من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولادرس ، وهذا هو العلم الربانى (٣)

ويقول لأهل الظاهر : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت »

ويعقب محى الدين بن عربى على كلمته بقوله : « فعلمـــاء الرسوم

---

(١) فى التصوف الاسلامى . ترجمة الدكتور عفيفى ص ٢٣

(٢) الكواكب الدرية جـ ١ ص ٢٤٥

(٣) المواهب السرمدية . ص ٤٨

يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامه فيبعد النسب ، والاولياء يأخذون عن الله القاءفى صدورهم من لدنه ،رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم(١)

ولقد انحدر ابويزيد من أسرة مجوسية ، تدين بالزاردشية ، وعاش فى جو صوفى شيعى ، وتولى تربيته الأولى شيخ كردى ، من زهاد الصوفية ومن ارباب الأحوال (٢)

ثم تلقفته ايدى الشيوخ من الشيعة ، فخدم كما يقول الدستانى : ثلاثمائة وثلاثة عشر شيخا صوفيا

وسمته الغالبة على حياته وتاريخه ، هى سمة الزهد المطلق ، والتجرد الكامل من الدنيا ، مع اخذه نفسه أخذا عنيفا بالرياضة والمجاهدة ، والمحاسبة والمراقبة.

أسرج له السراج ليلة . فقال لأصحابه : إنى أجد وحشة فى السراج ؟ فقالوا : ياسيدنا استعرنا قارورة من البقال ، لنأتى بالدهن فيها مرة ، فاتينا فيها مرتين ؟ فقال : عرفوا البقال وارضوه ففعلوا ، فزالت عنه الوحشة(٣)

ويقول محيى الدين بن عربى : « كان حاله التجديد وعدم الادخار، فقال يوما لاصحابه : فقدت قلبى فاطلبوا البيت ، فوجدوا فيه قطف عنب : فقال رجع بيتنا بيت البقالين؟ فتصدقوا به . فوجد قلبه .

وسئل عن الزهد ، فقال : « ليس للزهد منزله ؟ فقيل لماذا ؟ فقال : لأنى كنت ثلاثة أيام فى الزهد ، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه .

اليوم الأول زهدت فى الدنيا وما فيها ، واليوم الثانى زهدت فى الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيهما سوى الله فلما كان اليوم الرابع

---

(١) الفتوحات المكية ج ٣

(٢) المواهب السرمدية ص ٤٥

(٣) نفس المصدر السابق

لم يبق لى سوى الله فسمعت هاتفا يقول : يا ابا يزيد لا تقوى معنا ؟ فقلت : هذا الذى أريد ، فسمعت قائلا : وجدت وجدت(١)

وقيل له : حدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتك فقال : دعوتها إلى الله ، فنكلت على ، فعزمت عليها لأشرب الماء ، ولا أذوق النوم سنة فاذعنت» ه

وقال: دعوت نفسى إلى ربى فأبت ، فتركتها ومضيت إليه : وقال : لم ازل اسوق نفسى الى الله وهى تبكى ، حتى ساقتنى إليه وهى تضحك : وقال انسلخت من جلدى ، فرأيت من أنا ؟ : قال السهروردى : اشار إلى النفس الناطقة :

ويقول أبو يزيد : « اقمت عشرين سنة اكافح المجاهدة ، وأكابد المراقبة، ولا أجرؤ أن البس مرقعة ، ولا انظاهر بالطريق ، ثم بعد ذلك تواقحت ولبست (٢)

وقال ابو موسى الدبلى: « صحبته سنين فما رأيته نام مضطجعا إلا يسيرا وطالما صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة »

وظل أربعين سنة لا يستند إلى حائط مسجد أو رباط ، فقيل له : لم لا تستند وفى ذلك رخصة قال : قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فهل ترى من رخصة ؟»

وقيل له بماذا نلت هذه الدرجة ؟ قال : « جمعت اسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع ، ووضعتها فى منجنيق الصدق ، ورميت بها فى بحر الأياس فاسترحت (٣)

وسئل بماذا بلغت إلى ما بلغت ؟ قال : اتخذته سبحانه معلما ، فقلت إن لم يكفك ربك لم يكفك غيره فى السموات والأرض ، وشغلت

---

(١) الرسالة للقشير

(٢) الكواكب الدرية جـ١ ص٢٤٥

(٣) الكواكب الدرية جـ١ ص ٢٤٥

لسانى بذكره وبدنى بخدمته ، كلما أعيت جارحه رجعت إلى الأخرى (١) -

وبهذه المجاهده والمراقبة والمحاسبة الدقيقه ، سلك أبو يزيد الطريق إلى الله وقد استهدف منذ يومه الأول ، الظفر بالحقيقة . بالمعرفة واتخذ الوصول إلى هدفه معراجا هو المحبة والفناء

يقول : « وقفت مع العابدين . فلم أرلى معهم قدما فوقفت مع المجاهدين فلم أرلى معهم قدما . فوقفت مع المصلين والصائمين ، فلم أرلى معهم قدما ، فقلت : يارب كيف الطريق إليك ؟ قال : اترك نفسك وتعال :

قال الخواص : فاختصر له الطريق بألطف كلمة واخصرها ، فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه ، وقد ترك أبو يزيد نفسه ، وذهب إلى الله (٢)

---

(١) المواهب السرمدية ص ٤٦

(٢) الكواكب ج١ ص ٢٤٥